زمن السقوط والصعود

قصّة : بكري حريتاني

— ١ —

تمطر الارض .
تهبط السماء لتفترش الارض ، لتضيع بينها طويلا ، تلتحم السماء والارض في عناق طويل ، طويل ، بينما ياوح : نيرودا، لوركا ، ناظم حكمت ، متوهجين بالفرح واغنيات النصر والكبرياء المعجونة بدماء الجائعين .

— ٢ —

في كل الارصفة .
وعلى المنعطفات ، الزوايا ، الواجهات ، المداخل، المخارج ، تنهض لافتات بيضاء ، سوداء ، صفراء، تهزها الريح واصوات الاتي الذي سيهزمها :
لافتة اولى :
« عاش ادب السندويشات » (١)
لافتة ثانية :
« عاش كل الزاحفين على اجساد شهدائنا لبناء مجدهم الادبي الرائع »
لافتة ثالثة :
« عاش كل الدجالين والمشعوذين وتجار الكلمات المزيفة — المستوردة — المصنوعة محليا »
لافتة رابعة :
« عاش كل الذين يجيدون الرقص الشرقي والغربي وتقبيل الايدي » .
لافتة خامسة :
« عاش .. عاش .. عاش » .

— ٣ —

— الارض تحيا كبقية الكائنات .
قال المحاضر ، وعندما وجد الابتسامات تعلو شفاههم ممتزجة بتساؤلات لا نهاية لها تابع :
— كبقية الكائنات تعيش الارض . اليست الارض كائنا ؟؟
صمت . تابع المحاضر :
— البشر ، الشجر ، المطر ، الثلج ، الشمس، المزيفون كائنات ، والارض — ككائن — فهي تحيا : تسمع ، تحس ، تبصر ، تشم ... الخ.
ثم هاجم الجمهور فجاة : — هل جرب بعضكم ان تتعانق اذناه مع الارض ؟ عيناه ؟ لسانه ؟ انفه ؟
قد تقولون : لا !
حسنا — ايها السادة — فان الارض تحيا وامامكم مجال فسيح للتجربة .
عانقوا الارض فستتيقنوا تماما انها : تحس ، تسمع ، تشم ، ترى ، وليس هذا فحسب .. بل انها تثور !

هل سمعتم بأرض تثور ؟
انني اعتقد — وهذا رأي شخصي — ان الارض تثور ، تضج ، وهي لا تصمت ابدا للديدان ، للاعشاب اللاطبيعية التي تعبث بها !
ابدا لن تصمت الارض ويوما ستعلن ثورتها !

— ٤ —

اذا كان الجواب : نعم .
— هل تسكن المدينة ؟
— فهل تعرف القراءة ، الكتابة ؟
اذا كان الجواب : نعم .
— فهل تتعاطى الادب ، الفن ؟
لا تغضب وثق انني لا اريد بك شرا ، بل الخير كل الخير .
تتساءل : كيف ؟
حسنا — هل تعرف مكتبة ؟ أي مكتبة ؟
تقول واحدة في حيك ؟
— اذن ما رأيك بطريقة سهلة للتجارة والشهرة ؟
تقول ليس لديك رأسمال .
— لا يهم . بعض القروش ؟
ايضا . لا !
— استدن . يمكنك ؟
تهز رأسك .
— اهبط الى مكتبة حيك لتشتري بعض المجلات.
تتساءل : مثلا ؟
— مجلات متنوعة « ادبية ، فنية ، رياضية ، لا مانع من مجلات السكس » .
تتساءل : فقط ؟
— وبعض الصحف .. متنوعة ايضا : صحيفة « الثغاق سيد الاخلاق » ، و « الشعر هو الكلام الموزون المقفى » (٢) ، و « السقوط يبدأ بخطوة ».
— ....؟!
— عليك بطقم فاخر (حبذا اسود) وربطة عنق انيقة وحذاء جديد وغليون ممتاز . ثم لا تنسى الاناقة : الاناقة هي الشرط الاساسي + تقبيل الايدي .
— ....؟!
— تشق طريقك الى المقهى .
تتساءل : اي مقهى ؟؟
— مقهى الفنانين والادباء فهو مشهور جدا .
انصحك بالتوجه الى المقهى مساء . وقبل ان تلجه عرج على مرحاض عام لتتاكد من اناقتك ثم الق نظرة شاملة على المقهى . هاك وصفه : المقهى ذو واجهة زجاجية كبيرة وهو ينقسم الى قسمين:
في القسم الاول — الواجهة — يقصد بعض الادباء والفنانين + رواد قصدهم ازجاء الفراغ .
في القسم الثاني — الخلفية — اكتظاظ حول طاولات يدور عليها القمار .
(ملاحظة : لا تذهب ايام الجمع والاحاد والعطل الرسمية لانك لن تجد مكانا) .
تدخل : حاول ان تحتل مكانا في الواجهة : حركاتك منتظمة منضبطة . غليونك الفاخر يتوهج بين اصابعك وفمك . حالا سياتيك النادل :
— قهوة ؟
— طبعا !
ستتوجه اليك الانظار من رواد الواجهة : المثقفين وقاصدي ازجاء الفراغ . دكتر . لا تهتم .
سيدور همس حولك :
— اديب ؟
— فنان ؟
— شخصية كبيرة ؟
— تاجر ؟
— مخبر ؟... الخ.
حاول ان تصغي اليهم : ماذا يتحدثون ؟!
— فلان نشر قصيدة ؟
— فلان نشر كتابا ؟
— علقت بين (ق) و (ع) !
— يا جماعة ليس لنا علاقة !
— حتى نيرودا سرق من شعري !
— كتبت ٣ معلقات عن المستقبل .
— كتبت قصيدة عن حزيران وللظروف الراهنة جعلتها — بتحومر بسيط — في تشرين !
— يا جماعة ان شعري لن يفهمه الجيل الحاضر ، بل سيكون مفهوما بعد سنة ٢٠٠٠ .
— من هو ادونيس ؟ لقد نهض على كتفي .
الطاولة التي كان الحوار دائرا عليها تضاءلت ، لم يبق فيها الا اثنان .
— هل تعرف يا صديقي انه ليس في العالم العربي شاعر سوانا — انت وانا — ؟
— صحيح .
قد تتضايق ، قد تغضب ، ولكنك — طبعا — ستصبر :
يوم ،
يومان ،
ثالث ،
اسبوع ، ... الخ.
ستتعرف الى اسمائهم فحاول — كتلميذ مخلص — ان تتعرف الى احدهم باية صفة وستتبع دائرة معارفك وستغدو شخصية ادبية كبيرة : يكفي انك سرت — ولو خطوة — مع الشاعر الفلاني ، وحققت — ولو لحظة — مع الكاتب العلاني ، و...

— ٥ —

... وتبقى الريح ، المطر ، الشمس ، الجباه ، تجهد في السرية ، في الكشف ، وفي قتل كل الطحالب والديدان !

---

١ — عنوان مقال لرياض عصمت .
٢ — اخر تصريح لشاعر فحل .

من مطبوعات وزارة الاعلام في الجمهورية العراقية

صدر عن وزارة الاعلام / في سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث :
مرفأ الذاكرة الجديدة
شعر محمد عمران

صدر عن وزارة الاعلام / في سلسلة الكتب المترجمة :
مختارات من شعر بابلو نيرودا
ترجمة د. محمود صبح

صدر عن وزارة الاعلام / في سلسلة الكتب المترجمة :
اتجاهات جديدة في الادب
ترجمة نجيب المانع

صدر عن وزارة الاعلام / في سلسلة كتب التراث :
عروبة العلماء المنسوبين الى البلدان الاعجمية
تأليف ناجي معروف